الشرين». على الأرجح كما يبدو من السيناريو المصري لما بعد 3 يوليو2013 أن هناك اتجاهاً نحو اعتماد النموذج التركي في مرحلة ما بعد الانقلاب العسكري على حكم رئيس الوزراء الاسلامي نجم الدين أرباكان في 28 شباط 1997، لما حكم العسكر من وراء ستارة حكومة مدنية حزبية حتى فوز حزب تلميذ أرباكان، أي أردوغان، في انتخابات 3 تشرين ثاني 2002. هذا سيؤدي في القاهرة، كما

في أنقرة ما بعد 28 شباط 1997، إلى اظهار العلمانيين واليساريين والليبراليين بمظهر الأقل ديمقراطية بالقياس إلى الاسلاميين، وهو ما نراه أيضاً في فترة حكم أردوغان، الشيء الذي يمكن أيضاً قياسه بفترة حكم مرسي وما بعده، لما تقلصت الحريات وازداد القمع في فترة ما بعد انقلاب 3يوليو بالقياس إلى فترة حكم الإخوان. أيضاً، هذا سيكون خطراً على الصورة المستقبلية لـ«التيارات المدنية» أمام «التيارات الاسلامية»، من حيث أن الأولى ستكون أقل ديمقراطية بالقياس للثانية، وستكون أكثر ميلاً لـ«العسكريتاريا»، ثم من المحتمل أن لا تستمر الصورة هكذا فترة طويلة، عندما يمكن أن تؤدي براغماتية الاسلاميين إلى معادلة مع العسكر، وبرعاية واشنطن، التي تخشى من مخاطر سيناريو الجزائر بعد انقلاب العسكر عام1992، وتكراره الممكن في مصر، وأن تجعل مؤيدي انقلاب 3 يوليو من «تمرد» و«الانقاذ» صفر اليدين.

بالمجمل، سواء كان هذا أو ذاك، فإن المسار كله سيؤدي إلى اضعاف وربما اجهاض مسار ديمقراطي بدأ مع «الربيع العربي»، لما أظهرت حركة الشارع العربي في بعض البلدان العربية أن هناك عاملاً جديداً في السياسة العربية، إضافةً إلى الخارج الغربي الأميركي – الأوروبي والأنظمة المستندة إلى المؤسسة العسكرية، هو «قوة المجتمع»، التي فرضت ايقاعها عام 2011 لما أجبرت واشنطن والعسكر على العوم في بحر عملية تغيير الأنظمة القائمة في تونس والقاهرة. اليوم يبدو أن المعادلة قد تبدلت، حيث تمسك واشنطن والمؤسسة العسكرية من جديد بزمام الأمور لمصلحتهما انطلاقاً من انقسام الشارع بين الاسلاميين والتيارات الأخرى نحو العودة إلى حكم عسكري من وراء ستارة مدنية برعاية واشنطن.

السؤال الكبير الآن هو: هل تكون «البونابرتية»، عندما يأتي عسكري «منقذاً» وسط استعصاء وتعادل التوازنات بين شارعين متصارعين، حالة موقتة وعابرة ريثما تجري تعبئة فراغات توقف المد الاسلامي عبر بديل فكري – سياسي جديد؟ أم لا؟

* كاتب سوري

حركة «الإخوان» هي من الماضي وليست صالحة للعصر الحديث. تحرك الشباب التركي يريح الساحة السورية، فنظام أردوغان دخل بإرباك مواجهة قاسية مع الشارع التركي، وإن لم تكن بقوة التحرك المصري، إلا أن للتحرك مفاعيل مربكة للدور التركي في التفرغ للساحة السورية، فضلاً عن الضغط الروسي على تركيا لكبح جماح تدخلها بإمداد الساحة السورية بالمسلحين والسلاح، وبذلك يخف الضغط التركي على الساحات الواقعة بمتناول اليد التركية تمويلاً وتسليحاً.

ويبدو أن القيادة الإيرانية تلمّست روحية المتغيّرات الدائرة، فنحت في انتخابات رئاستها منحى معتدلاً، منفتحاً، تسوويّاً، فجاءت الانتخابات كاسحة بإصلاحي أعاد إلى الأذهان تجربة محمد خاتمي، التي جاءت في فترة تراجع التهديد الغربي لإيران بين الأعوام 1997 و2005، لكن التغيّر الإيراني لن يخفف من دعم طهران لسوريا، وبالتالي فإن التغيير الإيراني يأتي في سياق الاتجاه الدولي نحو الاعتدال والانفتاح وليس بالضرورة لتغيير التموضع السياسي لها.

قد يمثل التغيير الجاري في قطر ومصر وتركيا والمرتقب في ليبيا وتونس، مكسباً للموقف الأميركي الذي يبدو أنه، برفع اليد عن «الإخوان المسلمين»، وتبني سقوطهم من السلطات، هو انتصار لسياستهم في الاستراتيجية المتّبعة لحل أزمات المنطقة، باتجاه «جنيف 2». ومن هذا المكسب للأميركي، يصبح الحديث عن تسليح المعارضة السورية مسألة لها معنى، ويمثل ثقلاً في مسار إقامة نوع من التوازن تمهيداً للتسوية.

فإذا سُجّل للولايات المتحدة تقديم ورقة إسقاط «الإخوان المسلمين»، فإن التسليح إضافة إلى قوتها التي تستطيع، من خلال التمسك بها والحديث عنها، الدخول في مفاوضات مع الروسي من منطلق إعادة شيء من التوازن إلى المعركة السياسية _ العسكرية الجارية في سوريا، وتصبح معادلة «لا غالب ولا مغلوب» احتمالاً قائماً، وقد تكون إشارة روسية إلى الولايات المتحدة، التي تواصل السلطات الروسية وصفها بالشريك الدولي، لالتقاط اللحظة، وتفعيل التغيير الجاري بغية بلوغ التوازن المرجو قبل التفاوض على التسوية، وبذلك تتمكن الولايات المتحدة من جرّ أطياف المعارضة السورية إلى طاولة المفاوضات المفترضة.

ولا نستطيع الجزم بأن هذا المسار هو الذي سينتصر ويتحقق، لأن تحالفاً آخر لم يعرف فعلاً مدى قبوله شروط التسوية المقبلة التي ترتسم بين الولايات المتحدة وروسيا لتترجم اتفاقات وتسوية في جنيف. وهذا التحالف يضم سوريا وإيران وحزب الله، وهو تحالف مؤثر في الساحة السورية، وهو الذي تمكن من تحديد مساراتها ونتائجها حتى الآن، وبالتالي ستكون له كلمة فاعلة في قبول التسوية أو عدم قبولها، وخصوصاً أن هذا التحالف يرى أن معركته لن تنتهي في سوريا، حيث لا تزال أمامه معركة ربما أكبر وأعنف، وهي قضية فلسطين، التي لا تزال عالقة دون حل، وتحمل إمكان صراع عسكري كبير ينتهي بإعادة ترتيب المنطقة لولوج عصرها الجديد.

ومن هنا، يتمسك هذا التحالف برفع سقفه السياسي، ورفع وتيرة الصدام، وهو الذي قد يحدد، سلباً أم إيجاباً، مآل الصراع والتسوية، وفي ضوء النتيجة التي باتت شبه واضحة، يمكن لهذا التحالف الدخول في التسوية على الصيغة اللبنانية: «لا غالب ولا مغلوب» كإطار للحل، لكن بشروطه.

* كاتب لبناني

اللاذقية... مدينة الحرب الصامتة

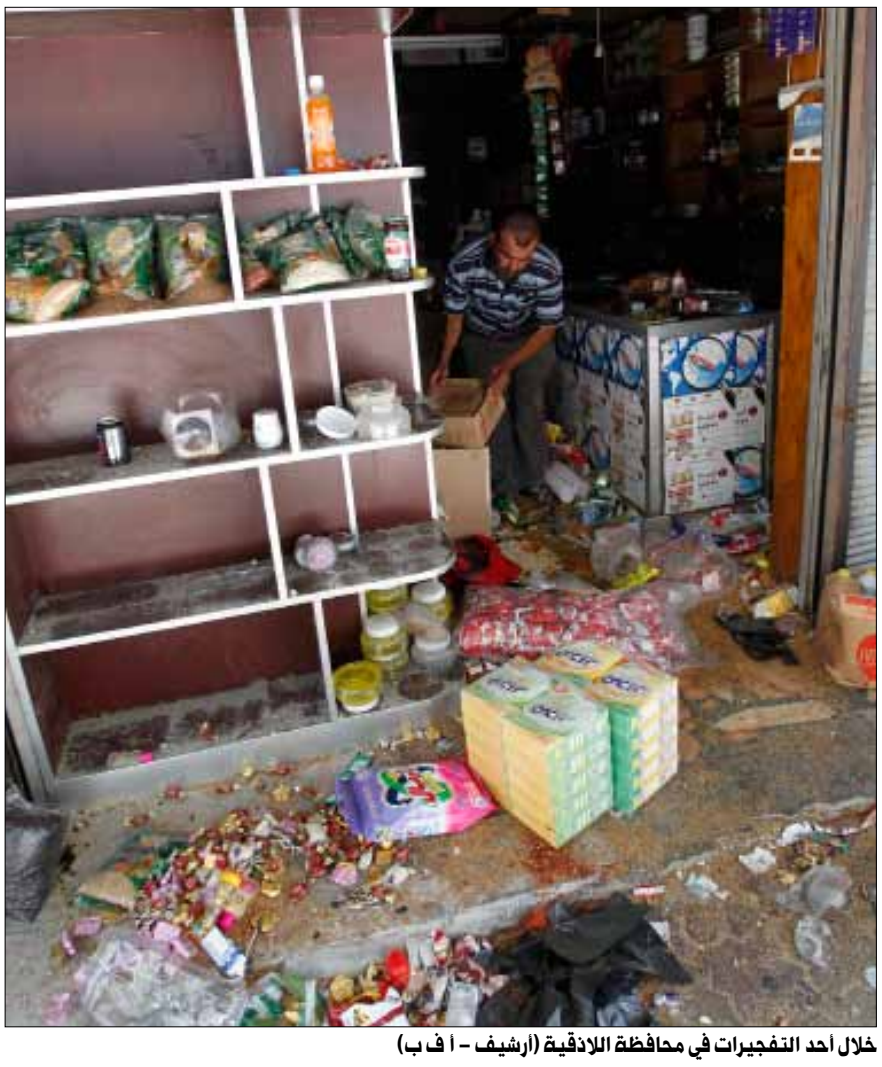

خلال أحد التفجيرات في محافظة اللاذقية (أرشيف – أ ف ب)

ثراء صبيرة *

مدينةٌ وَجدَها وافدوها ولكنّ الحربَ أضاعتهم وأضاعت أهلها، تضيقُ عليهم كلَّ يوم فيما هي تكبرُ وتتسع كلَّ ساعة. هي ليست مدينةً منكوبةً لكنّها مدينةُ المنكوبين، عندما تمشي في شوارعها تظنُّ أنَّه لا حربَ مرَّت من هنا، صحيحٌ أن ضجيجَ الحياة الصاخب أرَّق موتَ حجارتها، لكنهُ نالَ من النفوس فيها ما نال. فيكفيكَ أن تنظرَ في العيون المتعبة وأن تُصغي إلى الأنفاس المتقطّعة، لتدركَ جيداً أن زفراتِ الحرب أتقنت العبورَ منها. حربٌ تحيط وتتربصُ بالمدينة والأسود أعمى بصيرة الناظرين، لا يقِلُّ سوادُ الموت عن سواد الفقر وصعوبة العيش فيها، إن جالست أهلها فلا حديث يشغلهم سوى هبوط قيمة حياة البشر في مقابل غلاء تكاليف معيشتهم الذي لم يعد يُطاق، في مدينةٍ معظم دَخل ساكنيها يعتمد على الوظائف الحكومية ذات الأجر

> اللاذقية الآن مدينة المراثي والمرثيات لا نعلم من أين نبدأ لننتهي!

الثابت، وتكاليف الحياة تزداد على نحو شبه يومي. يتناقلون هذه الأحاديث أينما التقوا، في المواصلات العامة، في الشوارع، بين أرتال انتظار الأفران والمؤسسات. لا يعرفون بعضهم بعضاً مسبقاً ربما، لكنهم ظنّوا أنهم عرفوا مدينتهم.

في أحد المحال التجارية امرأة أرادت شراءَ موادّ تموينية. عند انتهاء جدالها مع البائع حول الأسعار اللامنطقية ختمت شكواها بقولها: «نحن خلقنا لنموت مو لنعيش»، عبارةٌ سمعتُ صداها يتردّد من علب الزيت والسمن والجبن وأكياس الرز والسكر، وصناديق البيض وحتى من أكياس الشيبس وقطع البسكويت، فيكفي أن يعرف الطفل بكم أصبح ثمن قطعة البسكويت لينظر الى يده وتتحول رغبته منها إلى عيون، عيون فقط.

نكبةُ الفقر والحجر والبشر وضعت حِملها كاملاً على كاهلِ وافدي المدينة. وافدون! لا تقلُّ غربةُ اللقب على المدينة عن غربتهم عنها. لا مكان لهم في المكان، ولا زمان في عمرهم من هذا الزمان. سلّموا ما لهم من الابتسامات والفرح قبل أن يجيئوا. حياتهم الآن ركضٌ لا ينتهي، سبقوا الحرب عدواً لكنّها سبقتهم جوراً. عندما تلتقي أحدهم سيحدثك مباشرة عن بيتٍ تركهُ وراءه، لمصير لا يقلُّ غموضاً عن مصيرِ ما ينتظرُه أمامه، يتكلم عن حرقته ووجعه بصوت يرن في الآذان ليُرهق الروح. معظم أطفالهم ضمّتهم الشوارع وإشارات المرور. يتراكضون بين السيارات ويَعلقون بأكمام المارة، والمارة منهم من يديرُ وجهه بتجهم مردداً (كان ناقصنا)، وآخرون ينظرون بشفقة تشملهم: «الله يساعدنا ويساعد البشر». بعض أصحاب السيارات لا جواب لهم قبل إغلاق النوافذ.

عند إحدى الإشارات اقتربت مني فتاة، نظرتُ إليها بتفحّص، فقاطعت نظراتي بطلبها، «خالة ما بدي مصاري عطيني قلم كحلة... لو صغير». سألتها: لماذا؟ فأجابت: «بدي اتكحل مشان يصيرو عيوني أحلى»، أعدت: لماذا؟ فأجابت: «لتصير الدنيا أحلى كمان». أطلقتُ زفرة تأثرٍ عالية أخافت الفتاة، فركضت مبتعدةً، مبتعدة وغير مدركة أنها أخذت من قلم الكحل الذي لم يصل إلى عينيها، جمال العيون وسواد الكحل. في طريق آخر رجلٌ منهك، يركض مسرعاً يقف عند باب الميكرو ويسأل: «بتوصل ع حيّ الدعتور معلم؟»، بعد النعم يصعد لاهثاً ويجلس معاكساً في مكان غير مخصص للجلوس إلا في حالات الزحام الشديد. يجلس معاكساً بالرغم من وجود مقاعد فارغة في الميكرو! أفكر: تُرى لمن ترك مقعدهُ ؟!

هل اكتفى من الطريق عناءه؟ اعجز عن تفسير اختياره. أتأمله طويلاً، نظراته تائهة في لا مكان، وطاقته مهدورة في لا حركة. فعلت الحياة بعينيه الخضراوين ما فعلت الشمس بجلده المحروق. عمر النكبة في عمره لم أستطع عدّه. أقول في نفسي: الغريبُ الذي يمشي تائهاً هائماً في المدينة، أتُراه يعلم أنّا تقاسمنا الغربةَ معاً؟!

ماذا فعلنا للمدينة لترد علينا بهذه القسوة؟ ماذا فعلنا لهذه الحياة لتحاسبنا بهذه الطريقة؟

اللاذقية تلك المدينة الوديعة الهادئة، التي أقامت برفق على شاطئ المتوسط وقد ملأتها الحياة برويّة فنان. لا ضجيج يعكر صفوها أكثر من أصوات تلاطم الأمواج على الصخور. تحولنا فيها نحن الى أمواج تتقاذفنا الرياح على صخورها. كانت مدينة يقصدها جيرانها للسياحة والاصطياف، فأصبحت ملاذاً لهم من القصف والقتل. ولكن دون جدوى فقد سبقهم إليها الفقر والحرمان والتعب. اللاذقية الآن مدينة المراثي والمرثيات. لا نعلم من أين نبدأ لننتهي!

* كاتبة سورية